اللغة العربية المعاصرة في منطقة الخليج

الواقع والتحديات

مع تركيز خاص على لغة الطفل العربي

د. أحمد محمد المعتوق(*)

تمهيد:

كان للثروة النفطية التي مَنَّ الله ـ سبحانه وتعالى ـ بها على بلدان الخليج العربي آثار إيجابية بالغة الأهمية تمثلت بالدرجة الأولى في النشاط الاقتصادي الكبير الذي عم هذه البلدان كلها ثم فيما أفضى إليه هذا النشاط مع مرور الزمن من تطور في حياة المجتمع وفي مؤسساته ووسائل عيشه، ومن اتساع في العلاقات بينه وبين المجتمعات الأخرى على اختلاف أجناسها وأصولها وما نتج عن ذلك كله من انفتاح هذا المجتمع بمختلف قطاعاته على حضارات الأمم وثقافاتها. إلا أن النشاط الاقتصادي الذي قوي وازدهر في هذه البلدان والعلاقات التي نشأت وتوثقت بين أهلها وبين مجتمعات البلدان الأخرى، كان لها تأثيراتها السلبية على كثير من نواحي الحياة في البلدان المذكورة، ولاسيما اللغة ـ فقد تأثرت لغة المجتمع في هذه البلدان نتيجة للتحولات الجديدة إلى حد أصبحت فيه في وقتنا الراهن وفي خضم تيارات العولمة أمام تحديات خطيرة لا تمس كيانها وحيويتها وحسب، وإنما تمس الواقع الثقافي للمجتمع بأكمله ـ وتهدد بالمزيد من الاضطراب الفكري والحضاري.

بدأت اللغة العربية، لغة المجتمع الخليجي الأولى، ومنذ أوائل الخمسينيات من القرن الماضي صراعها المتواصل مع اللغة الإنجليزية بنحو خاص، حيث أخذت هذه الأخيرة تبرز في البداية كلغة رئيسة للخبراء والفنيين العاملين في شركات النفط الأجنبية العاملة في المنطقة ثم العاملين فيها جملة، ثم تبرز كلغة مميزة مألوفة لدى الكثيرين من المثقفين والمتعلمين من المواطنين الأصليين العائدين من بعثاتهم إلى الخارج، ثم أداة للتواصل والتعامل التجاري الذي ظل يواصل نشاطه

(*) أستاذ الأدب والنقد ـ جامعة الملك فهد للبترول والمعادن.

وحركته في تسارع مستمر مع كثير من الدول الأجنبية ولاسيما الغربية منها، لتصبح بعدها اللغة الإنجليزية محمولة مع الآلاف من الأجهزة والأدوات والسلع الحديثة المستوردة إلى معظم المراكز التجارية والأوساط الاجتماعية في المنطقة .

لقد أخذ صراع العربية مع الإنجليزية الوافدة يتسع شيئًا فشيئًا حتى أصبحت الثانية الدخيلة تنافس لغة المجتمع الأولى على النفوذ في العديد من مواقعها المهمة، هذا في الوقت الذي بدأ فيه سيل العمالة الأجنبية يتدفق ويمتد ويزداد مع زيادة النشاطات الاقتصادية والتجارية، بحيث لم تمر سنوات كثيرة حتى حل في أوساط المجتمع عشرات الألوف من الأجانب من مختلف الأجناس والأصول، وحلت معهم لغاتهم المتباينة الأصول لتشكل جبهة ثانية للصراع مع العربية في موطنها وعلى ساحاتها .

ومن جهة أخرى، فقد كانت مناهج تدريس اللغة العربية في مختلف المراحل التعليمية في المنطقة تعاني من كثير من نواحي القصور والتخلف وتتواصل في ضعف نشاطها وحيويتها مع توالي الزمن ليزداد تخلفها وتراجعها مع توالي الصراع واتساعه .

أدت الأسباب المذكورة وغيرها مما لا يتسع المجال لذكره مع مرور الزمن إلى تراجع مكانة اللغة العربية في كثير من أوساط المجتمع الخليجي . وإلى ضعف ناشئة هذا المجتمع في لغتهم الأم إلى درجة أصبح معها هذا الضعف واضحًا وسائدًا، بل أضحى يهدد باضطراب الهوية أو ضياعها في كثير من الأوساط . ولم يكن هذا الضعف ليقتصر على لغة المجتمع المحكية العامة، وإنما تسرب إلى لغة التعليم والتثقيف ولغة الكتابة والتدوين وأصبح يهدد بمزيد من الفراغ الفكري و الثقافي لدى ناشئة المجتمع . ولا يبعد أن يكون هذا الاضطراب اللغوي وهذا الضعف سببًا رئيسًا فيما يعاني منه المجتمع الخليجي في وقتنا الحاضر من هبوط في مستوى التعليم في مختلف مراحله، ومن تدني مستويات الإنتاج العلمي والفكري الذي ما فتئ المسئولون عن الثقافة والفكر في المنطقة يصرحون بالشكوى منه .

إن ما تَقدَم ذكره يبين جانبًا مهمًّا مما تتعرض له لغتنا العربية من تحديات ومخاطر وما تواجهه مسيرتها في المجتمع الخليجي من صعوبات ومشاكل، ويقضي بلا شك بضرورة التفكير الجاد فيما يمكن أن يجنبها الاستمرار في موقفها الصعب ويخفف من تبعات التحديات التي تواجهها ومما قد ينتج عن هذه التحديات أو يترتب عليها من مضاعفات ربما تكون أكثر خطورة على مستقبلها، لاسيما وأن تأثيرات اللغات الأجنبية السلبية على لغة المجتمع ممتدة وآخذة في الاختراق والاتساع وليس هناك من قانون فعلي أو مرتقب يحد منها أو يكبح من جماحها، كما أن الضعف في لغة الناشئة حسبما تشير كثير من الدراسات الحديثة مرشح للمزيد من التفاقم والانتشار .

لم تعد هناك جدوى كبيرة من معالجة المشاكل المشار إليها عن بعد، أو البدء في التفكير من النهايات المؤسفة التي أوصلت إليها، وإنما لا بد أن يكون الهدف الأساسي هو التفكير أولاً بأول في الأسباب التي تضرب في الأساس، والابتداء في معالجة هذه المشاكل من جذورها، والبدء في التصحيح من المنطلقات الأولى التي تشدنا بالحاضر والمستقبل،ـ أو بتعبير آخر البحث في الطرق الفاعلة التي تعمل على بناء وتنمية لغة جيل المستقبل نفسه، جيل الأطفال الذي لا يمكن أن يتغير الواقع الحاضر والمستقبل إلا بتغيره، وذلك في إطار البحث في الوسائل التي تعمل على تطوير لغة المجتمع المعاصرة بنحو عام، ووفق الخطط السديدة الممكنة ومناهج البحث الحديثة المدروسة التي تمليها هذه الوسائل ويمكن تأمينها وتفعيلها. وهذا هو الهدف الرئيس الذي وضع لهذه الدراسة.

لقد جاء مؤتمر (لغة الطفل العربي في عصر العولمة) الذي قرر المجلس العربي للطفولة والتنمية عقده في الفترة من ١٧ـ ١٩ فبراير من هذا العام ٢٠٠٧في القاهرة، جاء هذا المؤتمر والعالم العربي كما يُعتقد ـ ونتيجة للظروف والإشكالات السابقة الذكر ـ في أمسِّ الحاجة إلى عقده وعقد مؤتمرات أخرى مماثلة، جاء ليشكل فرصة بالغة الأهمية تمكن من بحث مختلف الوسائل الكفيلة بتغيير الواقع اللغوي الذي يشهده مجتمعنا العربي، ومن خلال أهم منطلق وأهم مدخل يمكن أن يتغير الواقع الحاضر والمستقبل بتغيره، وهو تنمية الوعي اللغوي والفكري لدى ناشئة هذا المجتمع وأطفاله وجيله الجديد من أجل الحفاظ على هوية هذا الجيل وعلى كيانه الحضاري. . والواقع، إن هذا هو الذي يهيئ كما يؤمل لتحقيق مستقبل لغوي وثقافي وحضاري أفضل .

وأنا إذ أشيد بما بذلته إدارة المجلس العربي للطفولة والتنمية من جهود في التهيئة لعقد هذا المؤتمر والسعي الحثيث لإنجاحه وتحقيق الأهداف المرجوة منه، لأقدر حرصها واهتمامها ودعوتها لي للكتابة في أحد محاوره، لقد لاقى حماسها والمحاور التي حددتها للمؤتمر والأهداف السامية التي نصت عليها صدًى كبيرًا في نفسي وحماسًا للمشاركة أنساني ما أنا فيه من ظروف صحية صعبة في وقتي الراهن . وزاد من هذا الحماس بلا شك تعلق موضوع الدراسة المقترح بالواقع الذي أشهده وأعيشه وأتفاعل معه وارتباطه بما سبق لي من تجارب في معالجة جوانب قريبة منه في بحوث سابقة، كان من أبرزها كتاب "نظرية اللغة الثالثة" الذي صدر في عام ٢٠٠٥ عن المركز الثقافي العربي ببيروت والدار البيضاء. هذه الحوافز كلها شجعتني على وضع هذه الدراسة ثم استدرجتني للتوسع، فشكرًا لمن كان له الفضل السابق في التشجيع على وضعها .

منهج الدراسة:

لقد وجدت وأنا أضع الهدف أو الأهداف السابقة الذكر نُصْبَ عيني ساعيًا لتحقيق ما يمكنني تحقيقه أو المشاركة في التهيئة له من خلال الدراسة التي وضعتها، وجدت أن من السبل التي تمكن

هذه الدراسة من تحقيق الأهداف التي تتطلع إليها، الاعتماد فيها على منهج البحث الميداني أو تغليب هذا المنهج فيها على البحث النظري المجرد، والعمل قدر الإمكان على جمع المعلومات الأساسية التي تنبني عليها الدراسة، من خلال التجارب العملية المتمثلة بشكل خاص في المشاهدات العينية والرصد الفعلي المتتبع لما يجري في حياة المجتمع العامة وجوانب من حياته الخاصة أيضًا، حيث الأمر يتعلق بمعالجة الواقع الفعلي القائم والسعي لتغييره نحو الأفضل، والرصد العملي والمشاهدات العينية لهذا الواقع هي الوسيلة الأولى لتشخيص المشاكل الرئيسة التي ترتبط أو تحيط به، ومن ثَم الوصول قدر المتاح والممكن للحلول المناسبة وتحديد الخطوات والإجراءات التي يمكن أن تعالج المشاكل القائمة.

وتطبيقًا للمنهج الذي حددته، فقد وضعت في اعتباري مقابلة مجموعة من المسئولين عن التعليم والإعلام والثقافة والتجارة، والقيام بزيارات لعدد من المدارس الرسمية والأهلية بمختلف مراحلها ومقابلة عينات من المدرسين والطلاب والإداريين فيها، لاستقراء بعض المواقف والآراء ووجهات النظر المتعلقة بما يحصل من تغيرات وتحولات خطيرة في الواقع اللغوي الحاضر في المنطقة، وتلمُّس وتقييم بعض العوامل الكامنة وراء هذه المواقف والآراء أو المتسببة في حدوث الإشكالات الحاصلة في الواقع اللغوي أو في حدوث بعضها أو جوانب منها . .

كما وضعت في اعتباري تتبع جملة من النشاطات اللغوية الحاصلة في الحياة العلمية والتعليمية والعامة على حد سواء، لاستقاء نماذج حوارية حية من اللغة اليومية المحكية الجارية لعينات مختلفة من أفراد المجتمع ومن بينهم الأطفال في مستوياتهم العمرية والتعليمية المختلفة، من أجل تحليلها وقياسها ودراستها في ضوء المعطيات النظرية الحديثة وخلفيات التجربة العملية وانعكاساتها، ومن ثَم الوقوف على تأثيرات الصراع اللغوي الذي يعيشه المجتمع فيها وإدراك المشاكل التي تظهرها أو تشير إليها هذه التأثيرات، في محاولة لتصور الحلول المناسبة لهذه المشاكل.

لقد وجدت نفسي بعد فترة طويلة من العمل والبحث المتواصل لتحقيق المنهج السابق الذكر وفي ضوء الاعتبارات الموضوعة أنني سأكون أمام دراسة واسعة متشعبة، لا يمكن تقديمها بعد استكمالها التام في وقت محدود في جلسة من جلسات المؤتمر، ولا يمكن أن يتسع لها في تصوري كتاب يجمع كل أبحاث هذا المؤتمر. مع علمي بجلال المناسبة وعظم قدرها وعمق الأبحاث المتصور تقديمها فيها، لذلك عمدت إلى تلخيص ما استكملته من أجزاء الدراسة ووضعتها فيما يمكن أن يتناسب مع أحجام الأبحاث المعتاد تقديمها في المؤتمر ثم نشرها فيما بعد في كتابه المخصص لأبحاثه، مع توجيه اهتمام خاص لتضمين خلاصة وافية لأبرز ما توصلت إليه في الأصل من مقترحات ووضعته من توصيات، آملاً أن يكون في صورتها الملخصة هذه التي أقدمها بين يدي القارئ الكريم ما يليق بالمناسبة التي سنحتفل بها ويفي ببعض ما لها من حق وما للقائمين على الإعداد

والتهيئة لها من جميل، وأن يشارك في خدمة الأهداف التي أقيمت من أجلها ويسهم بنحو أو بآخر في خدمة لغتنا العربية المجيدة. كما آمل، في الوقت نفسه، أن تُتاح لي الفرصة لنشر الدراسة في صورتها المستكملة المفصلة ضمن كتاب أو كتيب خاص مستقل في وقت لاحق قريب بإذن الله.

النص:

بدأت الشركات الأجنبية المتخصصة في صناعة النفط منذ أوائل الخمسينيات في القرن الماضي تحل بعدتها وعديدها المتزايد في وسط المجتمع الخليجي، واتسعت أعمالها وتفرعت أصولها ودوائرها وانضم الآلاف من الخبراء والفنيين والمهنيين الأجانب من جنسيات مختلفة للعمل فيها واستوطنوا مع أسرهم بين ظهراني المجتمع واختلطوا بأناسه اختلاط تجاور وتعايش وتحاور، ومن جانب آخر فقد وحدت الشركات الأجنبية العاملة لغاتها في لغة واحدة، هي الإنجليزية، لغة الغالبية من خبرائها وفنييها والعاملين من الأجانب فيها، وفرضت هذه اللغة على كل من يعمل لديها، ومن بينهم الآلاف العديدة من أفراد المجتمع الأصليين من دون استثناء.

وقد عززت الشركات المذكورة مواقع لغتها الإنجليزية المختارة ودعمت مكانتها ومكانها من الألسن والنفوس، بإنشاء العديد من المعاهد والمدارس المتطورة لتعليمها وعقدت الدورات المتواصلة في كثير من الأنحاء للتدريب على استعمالها وتعميم الارتباط بها، كما هيأت النفوس من ناحية أخرى للإقبال عليها واللهفة لتعلمها فخصصت المناصب العالية والوظائف المتميزة لمتعلميها ومتقنيها؛ مما أدى إلى تنافس الكثيرين من أبناء المجتمع في الإقبال والعناية بها. وعندما تقدمت وتوسعت أعمال هذه الشركات واطمأنت في المقابل من خضوع الناس لنفوذ لغتها، أخذت تشترط على طالبي الوظائف لديها إتقان هذه اللغة أو تعلمها وفق منهج مكثف وتحت إشراف وتوجيه خاص منها. وهكذا أصبح تعلم الإنجليزية أو معرفتها أمنية كل طامح إلى الوجاهة وإلى الحياة الرغيدة الهانئة.

هيأت العوامل السابقة الذكر لزيادة نفوذ اللغة الإنجليزية بشكل كبير في المجتمع الخليجي وجعلت تداولها أو تناوبها مع اللغة العربية أمرًا عاديًّا بين الكثير من فئاته، ولاسيما الفئات العاملة في الشركات الأجنبية والفروع والدوائر التابعة أو المساندة لها والفئات الأخرى المرتبطة ارتباطًا وثيقًا بها. وأخذت عناصر هذه اللغة تتسرب على ألسنة أفراد هذه الفئات إلى لغة الفئات الأخرى من المجتمع في رفق أحيانًا وفي نهم أحيانًا أخري بحسب ما كان يُتاح من الاختلاط وما كان يمتلك مستعمليها من قوة الشخصية وعناصر التأثير، وزاد تغلغلها واستقرارها مع مرور الزمن على ألسنة كثير من أفراد المجتمع حتى صارت تنازع لغتهم الأم على كثير من مواقعها العامة والخاصة، كما

تسللت بمختلف مؤثراتها إلى حِمَى الأسر ولغة الأطفال فتمكنت من أن تضرب اللغة العربية في جذورها . .

ومن جانب آخر ، فإن النشاط في صناعة النفط والعوائد المالية الكبيرة التي فاض بها نموه واتساعه أوجد نهضة عمرانية شاملة وسريعة . كما أحدث حركة تجارية حرة نشطة غمرت على إثرها أسواق منطقة الخليج بسيل متدفق مستمر من البضائع والسلع والأجهزة والأدوات المستوردة من البلدان الغربية تحمل أسماءها في بلدانها وأسماء شركاتها المصنعة لها ومختلف الاصطلاحات الغريبة المتعلقة بها لتستقر بها ، ومن دون حرج أو رقابة أو اختيار ، في أبهاء المجمعات التجارية الفخمة وعلى أبواب المحلات والدكاكين وفي الشوارع والأزقة والمؤسسات وظهور السيارات ، التابعة لها ، كما تنفذ بها إلى المكاتب والمساكن والبيوت وغرف النوم وصفوف الدراسة ، وهكذا أخذت هذه الأسماء والاصطلاحات تعلق في أذهان الكبار والصغار وفي مخيلاتهم ، وتتردد على ألسنتهم فتشوبها ، وتندرج في طيات اللغة فتشوهها وتحرفها أو تهيئها للانحراف ، وإذا لاقت من تأثيرات العوامل السابقة الذكر ما يسندها ويدعم وجودها استقرت وتنامت وتضاعف أثرها في تراجع اللغة الأم وفي إضعافها .

وقد أحوجت النهضة العمرانية الشاملة والحركة التجارية التي عمت المنطقة بنشاطها إلى استقدام الآلاف من العمال والمهنيين والحرفيين من مختلف البلدان ، ولاسيما الآسيوية منهم ، والذين زاد من الرغبة في استقدامهم رخص أجورهم قياساً إلى دخل المجتمع المرتفع . وهكذا لم تمر سنوات على نمو هذه الحركة بشقيها : العمراني والتجاري ، حتى غصت المدن والمراكز الرئيسة في بلدان الخليج بعشرات بل مئات الألوف من العمال الأجانب من جنسيات مختلفة والآسيوية بنحو أخص ، وامتلأت الأسواق والفنادق ومكاتب النقل والسفر والسياحة والورش بأنواعها والمصانع ومواطن العمل على اختلافها بأناس يتراطنون بلغات متباينة الأصول ، ليس هناك من قانون يفرض عليهم استعمال لغة البلاد التي وفدوا إليها ولا من وازع يمنعهم من التبسط في استعمال لغاتهم الأصلية ، وإن كانت اللغة التي يميل معظمهم إليها ويتطلع إلى معرفتها ويفضل التعامل بها بعد لغته الأصلية هي الإنجليزية ، لغة الغازي الأول والأقوى ، مكتشف الذهب الأسود ومصنِّعه ومسوِّقه أو لكونها لغة المستعمر المتسلط السابق كما هو الأمر بالنسبة لأفراد العمالة الهندية مثلاً . حيث أصبح ذلك بنحو خاص عاملاً مهماً في ازدياد نفوذ الإنجليزية وتقدمها على حساب تراجع اللغة العربية وضعف أفراد مجتمعها فيها .

لقد امتد استقدام الأجانب الآسيويين وغيرهم من خَدَمة المجتمع في مرافقه وملتقياته العامة إلى خدمته في مرافقه الخاصة ومستقرات سكنه ، حيث شجع الثراء وحب الوجاهة والأبهة من جهة ، والتوسع في الراحة ورغد العيش ورفاه الحياة من جهة أخرى على اتخاذ العمالة الأجنبية

الخاصة من الخدم والسائقين والطباخين الخاصين، وعلى استقدام الحاضنات والمربيات الأجنبيات لخدمة الأطفال وتربيتهم أو العناية بهم في بيوتهم ومستقراتهم .

أصبحت اللغة العربية في المجتمع الخليجي نتيجة للأوضاع والتحولات السابقة الذكر في صراع متواصل على جبهتين، مع الإنجليزية، لغة الغازي المتفوق المهيمن بسطوته وسلطاته وقدراته، ومع لغات حشود العمالة الأجنبية الذين اخترقوا بأعمالهم كل مرافق الحياة وأوساط المجتمع ومهاجعه ومستقراته وأصبحوا يشكلون بلغاتهم المتفاوتة الأنساب والأصول جبهة منهكة للغة المجتمع العربية ومشتتة لقواها ولمساراتها، كما تجاوز هذا الصراع المشترك بجبهتيه حدود الحياة العامة ليمتد إلى عمق الحياة الخاصة ويهدد لغة الطفل في هذا المجتمع فينفذ بالألفاظ والتعبيرات الأجنبية الصحيحة والمحرفة معًا إليها بدءًا من مراحل نشوئه الأولى، حيث تظل هذه الألفاظ والتعبيرات تتسرب إلى لغة هذا الطفل، على لسان الحاضنة والشغالة والسائق أو الطباخ في المنزل، وعلى لسان الوالد إن كان من الموظفين في إحدى الشركات الأجنبية، ولسان والدته إن كانت قد أصابتها العدوى من الوالد أو صرعتها هي وزوجها موضة العصر في التباهي بمعرفة لغة الغازي القوي كغيرهما، ثم على ألسنة العمال والباعة في الأسواق، ومن خلال مشاهدة التلفاز والملصقات واللوحات العريضة المعلقة في الأسواق والشوارع وعلى أبواب المؤسسات والمكاتب والمحلات والدكاكين، ثم من خلال ألعاب الفيديو وبرامج الكمبيوتر الأجنبية المسلية التي طفحت بها الأسواق من دون قيد . . . ليمتلئ المعجم الذهني لهذا الطفل في النهاية بهذه الألفاظ والتعبيرات الأجنبية التي تأخذ في الحلول محل بدائلها أو شبيهاتها العربية في هذا المعجم أو تزيحها منه أو تشحنه فتمنع من دخول عناصر من اللغة الأصلية فيه، ليصبح في النهاية كالغريب عن لغته أو الدخيل عليها .

غير خاف بأنه على افتراض ابتعاد لغة الطفل العربي في هذا المجتمع عن التأثر بالأجنبية وسلامتها مما شَاع في محيطه الخاص أو العام من الألفاظ والاصطلاحات والتعبيرات الدخيلة، فإن هذه اللغة لا تسلم من الضعف والفقر أو الانحراف، لأن اللغة العربية لا تُمارس من قبَل الآخرين في هذا المجتمع أو هذا المحيط بحيويتها وثرائها الأصيل وعلى النحو الثابت السوي، ليتأثر هذا الطفل بهم إيجابيًّا ويكتسب من لغتهم ما يثري به لغته ويقوّم لسانه . وإنما يرى من الكثيرين منهم في المنزل والمدرسة والسوق ثم الجامعة والمحيط العام لغة متعثرة مشوهة تنسحب فيها المفردات الأصيلة والفصيحة يومًا بعد يوم في صور تلفها الاستكانة والخيبة أو اللامبالاة .

على الرغم مما سبق ذكره، فإن التهديد الأكبر للغة الطفل العربي المتأثر باللغة الأجنبية في المنطقة لم يكن ليكمن فقط في اقتراضه العفوي أو اللاإرادي المتواصل للمفردات والتعبيرات الأجنبية التي يشهدها مكتوبة أو يسمعها تتردد منطوقة في محيطه الخاص وبيئته العامة، ولا حتى في

محاكاته لأولئك الكبار الذين يتشدقون بالإنجليزية ويداخلون في تعبيراتهم بينها وبين لغتهم الأصلية، أو يمزجون في بعض مخاطباتهم بين لغتهم الأصلية وعناصر من اللغات الآسيوية الوافدة.

التهديد الحقيقي يكمن في واقع الأمر وبصورة أساسية في ذلك الغزو النفسي للغة الإنجليزية التي تبدو الأقوى على الساحة في الوقت الحاضر، ذلك الغزو الذي أخذت آثاره تظهر بنحو متزايد في تعاملات عامة أفراد المجتمع، وتتمثل في أنشطتهم اللغوية ومواقفهم النفسية بصور ومظاهر مختلفة، في تلك اللهفة العارمة لدى طوائف كثيرة منهم لتعلم هذه اللغة والإقبال الشديد المتزايد عليها، لا بدافع الحاجة إليها وحسب، وإنما بدافع التباهي بمعرفتها، لاعتبارها لغة الجنس الأرقى وصاحب المدنية والحضارة الأسمى في نظرهم على الأقل، في تلك العناية المتميزة بهذه اللغة وبتعليمها في المؤسسات التعليمية الأهلية والرسمية أيضًا، ثم في ذلك الانتقاص السائد من اللغة الأصلية والشعور حيالها بالدونية أو التخاذل في العناية والاعتزاز بها حتى من قبَل بعض أساتذتها وسدنتها.

إن انعكاس مثل هذه التعاملات والمواقف في أذهان الأطفال ورسوخها في وجدانهم يشكل في اعتقادي الخطر الأكبر على هويتهم اللغوية وعلى نموهم الثقافي أيضًا، ثم على هويتهم الحضارية وانتمائهم الاجتماعي والقومي، وبالتالي على لغة المجتمع وهويته وحضارته بنحو عام، حيث يمثل الأطفال جيل المجتمع الصاعد والأساس في بناء مستقبله الفكري والحضاري.

إن هيمنة اللغة الإنجليزية في المجتمع الخليجي في ازدياد مستمر ونفوذها إلى لغة الناشئة في هذا المجتمع آخذ في التصاعد وغزوها النفسي متجه نحو الاتساع والشمول نتيجة للعوامل السابقة الذكر وغيرها، لاسيما وأن المتسلط المهيمن على العالم من الناحية العسكرية والسياسية في الواقع الذي نعيشه هو صاحب هذه اللغة، وأن خطط الصراع الحضاري والمعترك حول تيارات العولمة ما تزال خيوطها الأولى في يده وتحت قيادته وسطوته. هذا بالإضافة إلى أن هناك عوامل أخرى تشجع على بسط سيطرة هذه اللغة وزيادة نفوذها نابعة من داخل المجتمع نفسه ومتهيئة بإرادة سلطاته والجهات المسؤولة فيه أو برضاها ومباركتها. ربما كان ذلك عن دون علم بمدى خطورتها على لغة المجتمع وعلى هويته الحضارية. أو كان بدافع الشبهة والجهل بطرق إدارة الأمور المتعلقة بها، وربما كان كذلك بسبب الضعف الكامن والإحباط واليأس من القدرة على الإصلاح ومواجهة التيار.

ومهما كانت التبريرات أو الاعتبارات السابقة الذكر، فإن من أهم ما يمكن أن نتصوره من العوامل التي لها تأثيراتها السلبية الخطيرة على لغة الناشئة ولغة المجتمع عامة في الدول المعنية في هذه الدراسة ما يلي:

١ـ الاستسلام غير الضروري لإملاءات الشركات الأجنبية العاملة في صناعة النفط المتعلقة بفرض استعمال لغتها الإنجليزية على كل العاملين لديها بوصفها لغة رئيسة وتهميش لغة المجتمع الأصلية أو جعلها لغة ثانية .

٢ـ إقرار الجهات المسئولة عن التعليم العالي في المنطقة للنظام القاضي بفرض الإنجليزية لغة للدراسة والتدريس والبحث والتعامل في الجامعات والكليات والمعاهد العلمية ، هذا النظام الذي أصبح له تأثيره الخطير في دعم اللغة الأجنبية وتعزيز نفوذها وقوة غزوها للنفوس وحلولها من حيث المكانة والاحترام محل اللغة العربية في كثير من الأوساط الاجتماعية .

٣ـ عدم توافر مراكز متخصصة لترجمة الكتب والأبحاث العلمية التي تصلح أن تكون مراجع لطلبة العلوم وغيرهم من طلاب الثقافة والمعرفة بنحو عام .

٤ـ عدم وجود الرقابة الكافية على استيراد السلع الأجنبية التي تحمل الأسماء والعبارات والمصطلحات الدخيلة ، وعدم الاكتراث في الوقت نفسه بتعريب هذه الأسماء والعبارات لتجنيب اختراقها للغة المجتمع وتأثيرها عليها .

٥ـ عدم اشتراط معرفة اللغة العربية أو التحدث بها على أفراد العمالة الأجنبية ، ولا حتى وجود ما يشجع على ذلك أو يحث عليه بطريقة أو بأخرى .

٦ـ القصور الكبير في مناهج تدريس اللغة العربية المعمول بها في الحاضر في مراحل التعليم ومستوياته المختلفة . إذ المناهج الحالية كما سبقت الإشارة لا تعمل على توثيق ارتباط الناشئة بلغتهم العربية وبتراثها ، ولا تعمق انتماءهم إليها ولثقافتها وفكر مجتمعها على النحو المطلوب .

٧ـ القصور أو التقصير في أداء وسائل الإعلام وأجهزته في بث الوعي القومي والثقافي وفي التأكيد العملي الفاعل على الهوية وعلى احترام الذات والولاء للمجتمع والعناية باللغة على أساس من اعتبارها الوسيلة المهمة في ارتباط هذا المجتمع بمبادئ دينه وبتراثه وحضارته وقيمه الأصيلة .

٨ـ عدم وجود قنوات تليفزيونية عربية كافية خاصة بالأطفال ، بل إنها تكاد تكون منعدمة ، علمًا بأن القنوات التليفزيونية المحلية والفضائية العربية العامة لا تُولي عناية كافية ببرامج الأطفال وبالمسلسلات والمواد المؤثرة إيجابيًّا على لغتهم العربية .

٩ـ عدم الاهتمام بتحديد البث من خلال القنوات الأجنبية أو ترشيد هذا البحث بما يحمي لغة المجتمع الأصلية ويقلل من تأثيرات اللغات الأخرى عليها ، حيث إن التحديد والترشيد منصب كما يبدو على ما يتعلق بالبرامج الدينية والسياسية فقط .

١٠ـ إطلاق الحرية للمدارس الأهلية في وضع أو اختيار مناهجها المتعلقة بتدريس اللغة الإنجليزية والتي يغلب أن تمنح الأولوية في العناية لهذه اللغة وتبالغ في الاهتمام بها وفي الإعلاء من شأنها على حساب اللغة الأم العربية والحط من شأنها والتزهيد في الإقبال على تعلمها .

١١ـ عدم وجود رقابة كافية على النشر تحد من نشر وتوزيع الإصدارات المدونة باللغة الأجنبية، أو تعمل على غربلتها والحد من منافستها للإصدارات العربية أو من اختراقاتها لمواقعها ومجالات انتشارها أو مجالات الجذب إليها وتوثيق الارتباط بها . هذا بالإضافة إلى عدم اهتمام الجهات المعنية بترجمة النافع أو المهم من هذه الإصدارات .

١٢ـ عدم توافر مراكز مهيأة متخصصة في ترجمة وإنتاج ألعاب فيديو وبرامج كمبيوتر عربية للأطفال تتناسب مع واقعهم ومع طبيعة مجتمعهم العربي ومكوناته الحضارية الخاصة، وفيها من عوامل الإثارة والفائدة ما يشدهم إليها ويغنيهم عن اللجوء إلى المستوردة الموضوعة منها باللغة الإنجليزية أو اللغات الأجنبية الأخرى .

١٣ـ قلة الأنشطة والمسابقات الثقافية والأدبية الكتابية والخطابية الخاصة التي تُمارس من قبَل الأطفال أو عامة الناشئة في مستوياتهم الخاصة في مدارسهم أو على المستوى الجماهيري العام . مثل كتاب القصص والمقالات والقصائد الشعرية والمسرحيات ومثل الفعاليات الخطابية . . .

هذه العوامل كلها تعتمد في وجودها أو التهيئة لهذا الوجود أو استمراريته بالدرجة الأولى كما هو واضح على إدارة المسئولين في الدولة وعلى توجهاتهم أو توجيهاتهم أو موافقاتهم الرسمية المباشرة أو غير المباشرة، فهي إن لم تتسبب في نشوئها مباشرة تتجاهلها ولا تعمل على منعها، وفي ذلك موافقة ضمنية عليها وإسهام غير مباشر في إيجادها .

وإضافة إلى ما سبق ذكره، هناك عامل مهم تشترك فيه أو في المسئولية عن وجوده السلطات الحاكمة في الدول المعنية مع جهات أخرى في المجتمع، وهو عدم تمثل اللغة العربية الصافية أو عدم إظهار التقدير الكافي لها والاعتزاز والاهتمام بها ممن يعتبرون قدوة لغيرهم من عامة أفراد المجتمع، مثل : رجال السياسة والمسئولين عن التعليم والثقافة والإعلام، والأساتذة ومدرسي المدارس، ورجال العلم والأدب والثقافة عامة . والناشئ أو الطفل متأثر في الغالب بما يراه ماثل حياته وواقع مجتمعه، على الأقل لدى من ينتظر منهم أن يكونوا قدوة ومثالاً يُحتذي له ولغيره .

ومهما يكن، فإن للعوامل السابقة الذكر تأثيرات خطيرة على لغة المجتمع بنحو عام، وعلى لغة الناشئة أو لغة الأطفال في هذا المجتمع بنحو أخص. وقد أظهرت النماذج الحوارية التي عرضت وحللت في الجزء المفصل من هذه الدراسة مدى خطورتها، حيث تسببت مع مرور الزمن في حصول ظاهرات لغوية سلبية من شأنها إحداث المزيد من هيمنة اللغة الأجنبية الدخيلة، ومن ضعف الناشئة في لغتهم المحكية والمدونة على حد سواء . ومن بين هذه الظاهرات :

١ـ تسرب المئات من ألفاظ اللغة الإنجليزية واصطلاحاتها وتعبيراتها إلى لغة المجتمع خاصة المجتمع وعامته، المتعلمين منه وغير المتعلمين، وإن كانت الزيادة ظاهرة في لغة الموظفين لدى الشركات والمؤسسات الأجنبية وطلاب العلوم أو المتخصصين فيها من طلبة وأساتذة .

٢ـ تراجع الاهتمام باللغة الأم العربية ليس لدى المتخصصين في مجالات العلوم كما أشرنا وحسب، وليس لدى طلاب المدارس وحدهم، وإنما إلى أساتذتهم أيضًا، حيث لا يُعطى لهؤلاء الأساتذة من التقدير والاحترام والوجاهة ما يُعطى زملاؤهم مدرسو اللغة الأجنبية، وحيث تشهد اللهفة وراء اللغة الأجنبية والسعي للتمكن من أجل الوجاهة ومن أجل الحصول على الوظائف والمناصب المميزة ليس لدى الشركات الأجنبية وحسب، وإنما لدى الدوائر الخاصة بالدولة أيضًا. في مقابل عدم وجود إغراءات للتمكن من العربية وعدم وجود مكان للمتميزين أو المتفوقين فيها.

٣ـ اللغة العربية لا تُمارس في المجتمع على النحو المطلوب ليتأثر الناشئة بهذه الممارسة ويكتسبوا من خلالها ما يثري محصولهم منها ويقوي صلتهم بها. لأنها تمارس في محيط الأسرة مشوهة خليطة بما تتلفظه ألسنة الحاضنات والمربيات والخادمات الأجنبيات وغيرهن من كلمات أجنبية ومن تعبيرات عربية مهجنة أو محرفة . وتمارس في المحيط الاجتماعي العام كذلك لما يزخر به هذا المحيط من عناصر لغات العمال الأجانب المختلفة ومن عناصر اللغة الإنجليزية المسيطرة في لغة التجارة والإعلانات التجارية وغيره . وتمارس في المدرسة في مزيج تختلط فيه ألفاظ العامية الدارجة وتعبيراتها بألفاظ من اللغة الأجنبية المتسربة بطريق أو بآخر . كما تمارس في الجامعات العلمية بنحو تغلب فيه اللغة الإنجليزية على اللغة العربية، علمًا بأن العربية التي تمارس معها هي العربية المحكية في الغالب . وهكذا تصبح اللغة العربية محاصرة، وتصبح ممارستها الصحيحة محصورة في حدود ضيقة، ربما لا تتجاوز حدود أوساط طلابها وأساتذتها المتخصصين وفئات قليلة من الأدباء والمثقفين .

وقد أدى كل ذلك كما دلت بعض التجارب التي قمت بها شخصيًّا، ليس إلى شيوع الأخطاء والانحرافات في تعبيرات الناشئة واستعمالاتهم اللغوية وحسب، وإنما إلى اضطراب وتزعزع ملكة التعبير أو قصورها لدى مجموعات كثيرة منهم، ولم تكن ملكاتهم الخطابية وحدها هي المتأثرة بل امتد هذا التأثير إلى ملكاتهم الكتابية أيضًا، وقد ساعد على ذلك ما سبقت الإشارة إليه من قلة الأنشطة الخطابية والثقافية التي ترعاها الدولة، سواء على المستوى الجماهيري العام أو المستوى الخاص في المدارس.

هذه في الواقع بعض النتائج التي تمخضت عنها العوامل السابقة الذكر، وقد استعرضنا جانبًا آخر منها بنحو مفصل في النسخة الموسعة من هذه الدراسة.

وبنحو الإجمال يمكن القول في نهاية المطاف بأن أي اضطراب أو تزعزع يحدث في نظام لغة الناشئ العربي في المجتمع الخليجي المعنيّ بهذه الدراسة، وأي تشويه يحدث في كيانها الأصيل نتيجة لتأثيرات العوامل السابقة الذكر أو سواها ستكون له بلا ريب عواقب سيئة على فكر المجتمع وثقافته؛ ومن ثَم على هويته ومستقبله الحضاري والسياسي أيضًا. بل على مستقبل الأمة وهويتها الثقافية والحضارية بنحو عام. حيث يشكل هذا المجتمع الذي نتحدث هنا عنه جزءًا كبيرًا من كيان الأمة لا يمكن أن ينعزل أو ينفصل عنه بأية حال من الأحوال.

على أن المجتمع الخليجي يشترك مع مجتمعات عربية أخرى في الكثير مما يعاني منه من مشاكل اللغة وشئونها وشجونها، وهو في الوقت نفسه يمتلك من عناصر القوة الروحية والمادية والبشرية ما يمكنه من دعم مواقف الأمة ومن تنمية وتطوير سبل استقلالها وتجنيبها الكثير مما تواجهه من مخاطر الغزو الفكري والثقافي، من خلال حماية لغته التي هي لغتها ومن خلال نشر ثقافة هذه اللغة وتعميم فكرها وتوفير كافة الوسائل التي تعزز موقفها وتضاعف من حيويتها وفاعليتها في الأخذ والعطاء، وتعمل على ارتقائها وزيادة نفوذها والعودة بها إلى مكانتها التي حظيت بها في عصور ازدهارها.

وإذا كانت الأمة تعاني ما تعانيه في وقتها الحاضر من أسباب القهر والضعف أو القصور عن ما بلغته الأمم المتقدمة في مجالات التنمية الفكرية والحضارية، فإن إصلاح لغة الناشئ أو الطفل وصيانة هذه اللغة من المخاطر التي تحيط بها تعد بلا شك من المهام الأولى التي ينبغي القيام بها من أجل تفادي هذه المعاناة أو الحد من وطأتها والتخفيف من تبعاتها وآثارها السلبية في الحاضر والمستقبل، ففي صلاح الجذور صيانة وثبات للأصل، وفي ثبات الأصل وقوته متانة لصلب الدوحة وامتداد لشموخها وعنفوانها.

هذا ملخص لما اشتملت عليه الدراسة المفصلة بكل أجزائها الرئيسة، أما أصل الدراسة نفسها فقد جاء في أربعة فصول نذكرها للقارئ الكريم بنحو من الإيجاز على أمل الارتباط بالدراسة الموسعة فيما بعد:

الفصل الأول: وعنوانه: "التحولات الجديدة في حياة المجتمع الخليجي الحاضر وانعكاساتها على اللغة العربية". وقد تضمن توصيفًا إجماليًّا للتحولات الاقتصادية والاجتماعية الجديدة وما أدت إليه هذه التحولات من الصراع بين اللغتين العربية والإنجليزية، ثم ما ترتب على هذا الصراع من انعكاسات على واقع الحياة اللغوية في هذا المجتمع.

الفصل الثاني: وعنوانه: "المحاور الأساسية للتأثير السلبي على اللغة العربية في المجتمع الخليجي"، ثلاثة عناصر رئيسة، وهي:[1] أثر الشركات الأجنبية وأنظمتها الخاصة في تغيير الواقع

اللغوي.[٢] آثار التطورات الرئيسة في الحياة الاجتماعية والاقتصادية على واقع اللغة.[٣] بعض الأنظمة والإجراءات الرسمية في بلدان المنطقة وعلاقتها بتغيير الواقع اللغوي . .

الفصل الثالث: وقد جاء بعنوان: "المجالات الأكثر تأثيراً على لغة الطفل العربي في المجتمع الخليجي"، فقد سُلط الضوء فيه بشكل خاص على نواحي الحياة الجديدة التي لها تأثيراتها المضاعفة أو الخاصة على لغة الطفل العربي في مجتمع المنطقة بالذات .

الفصل الرابع: وجاء بعنوان: "وسائل تطوير اللغة المعاصرة في المنطقة"، طائفة من التوصيات أو الحلول للمشاكل التي ترتبت على وجود الصراع اللغوي في المنطقة وأدت إلى نفوذ اللغة الأجنبية ويُخشى من تأثيراتها الخطيرة على الهوية اللغوية وهوية الطفل العربي بنحو أخص .

وإذا لم يكن هناك من مجال لاستعراض تفاصيل الدراسة أو الإشارة إلى تشعباتها وما تفرعت عنه فصولها وأجزاؤها المشار إليها من جوانب، فلا مناص من ذكر أبرز وأهم التوصيات التي وضعت في ضوء ما توصلت إليه من نتائج، واستعراضها بما يتناسب مع حجم الملخص المقدم ويلائم منهجه وما يرمي إليه . على أمل أن يكون في ذكرها بعض ما يخدم الهدف نفسه ويفي بالغرض من المشاركة بإذن الله .

توصيات ومقترحات:

ليس بالإمكان بطبيعة الحال استقصاء كل ما يمكن أن تتخذه دول المنطقة على الصعيد الرسمي وعلى الصعيد الجماهيري العام من إجراءات تؤدي إلى الحد مما تعاني منه لغة المجتمع فيها من مشاكل وما تواجهه لغة الطفل العربي بالذات من تحديات ومخاطر، إلا أنه يمكن القول بأن هذه الدول بما مَنَّ الله عليها من نعمة الذهب الأسود تمتلك المال بالإضافة إلى ما تمتلكه من إمكانات وطاقات أخرى سبقت الإشارة إليها، وللمال سلطته وسطوته وجبروته، والمال يصنع ما لا تصنعه قوة الرجال أحيانًا، وإذا اجتمع المال وإرادة الرجال وعزمهم وحزمهم فكل شيء بعد إرادة الله يمكن أن يتحقق . وبذلك، فإن من الممكن لهذه الدول أن تحقق من الأهداف المذكورة ما لا تقوى دول أخرى على تحقيقه، إذا ما توافرت الإرادة الحقيقية والعزم القوي والإدراك السديد والتخطيط السليم ثم الوعي الكامل بالمسئولية والجدية في اتخاذ القرار. نعم القرار السياسي، لأن أبرز وأقوى ما يمكن أن يشارك في تحقيق الأهداف المذكورة وباستطاعة دول المنطقة أن تقوم بها على المستوى الرسمي، هو القرار السياسي :

إن للقرار السياسي النابع عن الإدراك الحضاري العميق والوعي الكامل بالمسئولية الدينية والوطنية والقومية أثره الكبير في الحد مما تواجهه اللغة العربية في المنطقة من تحديات وأخطار، والعمل على صيانتها وحماية تراثها وفكرها بما يكفل للمجتمع الناطق بها عطاء أوفر وحضارة

أرقى يبرز من خلالها هويته ويثبت للعالم وجوده . ولا يخفى أن في اتخاذ مثل هذا القرار ما يثبت أمانة أصحاب القرار أنفسهم ويؤكد إخلاصهم لشعوبهم وللمبادئ التي عاهدوا الله وعاهدوا هذه الشعوب على حراستها والحفاظ عليها . كما يحمي مصالحهم ويؤمِّن استقرار وجودهم .

إن الاكتساح اللغوي على الصورة التي تشهدها منطقة الخليج العربي في واقعنا الراهن كما رأينا يهدد بغزو فكري وحضاري جارف، ما لم تُتخذ التدابير اللازمة لصده وحماية المجتمع منه، لأن اللغة كما أسلفنا هي آلة الفكر وأداته في الأخذ والعطاء، وانحرافها يهدد بانحراف الفكر، وانحراف اللغة والفكر من شأنه أن يفضي إلى تشويه حضارة المجتمع واضطراب نظامه الحياتي وسلوكيات أفراده، ومن ثَم إلى تبعية فكرية لا يبعد أن تقود في نهاية المطاف إلى زعزعة السياسات القائمة فيه والقيادات التي تدير شئونه . ومن خلال القرار السياسي وإرادة المجتمع وتعاونه مع الجهات المسئولة حول كل ما يتعلق باللغة وفكرها وثقافتها، يمكن القيام بإجراءات عديدة، منها :

١ـ **التخطيط والتنسيق اللغوي المشترك** : على الصعيد الإقليمي والصعيد العربي العام أيضًا، بنحو يكفل للغة مسارات محددة ملزمة تجنبها عشوائية النقل وفوضى الإدخال والخلط ويضمن لها قوانين ثابتة وأنظمة مستحدثة رصينة، يراعى فيها الحفاظ على أصل اللغة وكيانها الأساسي وطابعها الأصيل وذوقها الخاص، من دون تجاهل لسنن التطور وضرورة التوسع والتنمية فيها بما يلبي حاجات العصر ومتطلبات التحديث في مجالات التعبير المختلفة، ومن دون تجاهل لما تتطلبه لغة الطفل العربي من عناية خاصة، ومتابعة حثيثة لمختلف تطوراتها وتفعيل مستمر لجميع السبل المؤدية إلى نموها وزيادة حيويتها والعمل على إيجاد معالجات جادة ومدروسة لكل ما يمكن أن تواجهها من مشاكل وتحديات .

ويمكن أن تسهم في هذا التخطيط وتشرف عليه دول المنطقة بأجمعها عبر لجان مشتركة متخصصة تمثل فيها المؤسسات التعليمية والتربوية بمختلف مراحلها، وكذلك المؤسسات الإعلامية بمختلف توجهاتها ودوائر البحث والنشر العلمي على اختلاف الجهات التابعة لها .

٢ـ **تقاسُم اللغتين في الشركات**: ونقصد به أن تُجعل لغة التعامل والتخاطب الرسمي وغير الرسمي بين الفئات التي تعمل لصالح الشركات الأجنبية على اختلاف مهامها مشتركة بين اللغتين: اللغة الأجنبية التي تعتمدها الشركة ولغة المجتمع الأصلية، العربية، من دون فرض لأي من اللغتين على الأخرى، لاسيما إذا كانت هناك فئات من الناطقين بالعربية تعمل لصالح الشركة جنبًا إلى جنب مع الفئات الأجنبية . هذا فضلاً عن أن يكون هناك تكافؤ وتماثل من حيث العدد والكم وأهمية المواقع والمناصب الإدارية بين هذه الفئات والفئات الأخرى، أو تكون الفئات الأولى هي الغالبة .

إن مثل هذا الإجراء يُعتبر بلا شك حقًّا قوميًّا وقانونيًّا مشروعًا للدولة ومجتمعها، ولا يُعتقد أن من حق الشركات المتعاقدة رفضه أو الاعتراض عليه، فهي المستفيدة من وجودها في الدولة، وهو لا يتعارض مع مصالحها. بل إنه قد يخدم هذه المصالح، حيث يوفر للعاملين فيها مجالات أوسع للتعاون وفرصًا أكثر للتفاهم والانسجام واستيعاب متطلبات العمل، وقد ضمَّنا الدراسة المفصلة خطوات إجرائية يمكن بواسطتها تحقيق هذا المقترح .

٣ـ **زيادة نسبة الخبراء العرب في الشركات الأجنبية**.: ونعني بذلك العمل على التقليل من نسبة الخبراء والفنيين والمهنيين الأجانب العاملين في الشركات الأجنبية وجميع الدوائر التابعة لها، بزيادة نظرائهم من المواطنين الأصليين . وذلك بأن يتم الاتفاق بين الدولة والشركات الأجنبية العاملة نفسها على إعداد كفاءات وطنية مؤهلة للحلول محل الكفاءات الوافدة، وإن اقتضى الأمر أن يتم العمل بذلك بنحو تدريجي فلا بد أن يستمر حتى ينتهي إلى حد الاستبقاء على الحد الأدنى من الخبراء والاستشاريين الكبار ممن لا غنى للشركات عن خدماتهم . إن هذا الإجراء يمكن أن يقلل من الاعتماد على اللغة الإنجليزية ومن تأثير الاختلاط في مجالات العمل وخارجه في نشر هذه اللغة وزيادة نفوذها .

٤ـ **اشتراط معرفة اللغة العربية على المستقدمين** : يُعتقد أن من حق أية دولة أن تشترط على كل من تقضي مصلحته بأن يعمل فيها أن يتعرف على لغتها ويمارس هذه اللغة في نطاق عمله . ولو في حدودها المحكية، وهكذا جرت العادة في الدول المتقدمة التي تحرص على حماية لغاتها، ولذلك يُعتبر من الطبيعي أن تفرض كل دولة من دول المنطقة على المستقدمين للعمل فيها تعلم لغتها ولو بنحو تدريجي، أو أن تجعل ذلك شرطًا في تجديد إقامتهم واستمرار عملهم فيها، وتحقيق هذا الشرط ليس بالأمر الصعب أو المكلف بالنسبة للطامحين للعمل في بلدان المنطقة، ولاسيما الآسيويين منهم والذين يبذلون عادة الغالي والرخيص لكي يحصلوا على فرص عمل فيها .

ولتسهيل تحقيق هذا الشرط وزيادة فاعليته يمكن أن تقوم الدولة بإنشاء معاهد لتعليم العربية لغير الناطقين بها كما يمكن تشجيع القطاعات الخاصة والمؤسسات الأهلية على إنشائها . فهي مشاريع مربحة بلا شك ماديًّا ومعنويًّا .

٥ـ **تعريب أسماء السلع الأجنبية**: إن المبادرة إلى تعريب أسماء السلع والبضائع والأدوات المستوردة والألفاظ الاصطلاحية الأجنبية المتعلقة بها قبل انتشارها واستقرارها في أذهان المواطنين يُعد أمرًا مهمًّا، حيث يصعب استئصالها أو استبدالها بعد جريانها على ألسنتهم واستقرارها في أذهانهم . ويتبع ذلك ترجمة التعليمات أو الأدبيات المدونة في الكتيبات

الموجزة **brochures** التي ترد عادة مع الكثير من الأجهزة والأدوات للتعريف بها وبكيفيات تركيبها أو استخدامها أو معالجتها .

٦ـ **تعريب الإعلانات التجارية** : ولا يُقصد بذلك تعريب ما يظهر على شاشات التلفاز من عبارات دعائية وعناوين وأسماء ومواصفات للمؤسسات والسلع الأجنبية باللغة الأجنبية فحسب ، وإنما يشمل كذلك ترجمة جميع ما يكتب بالأجنبية على المعلبات المستوردة وعلى اللوحات والملصقات التي تُعلق في الشوارع وعلى أبواب المخازن والدكاكين والمطاعم ومحلات بيع الوجبات السريعة في الأسواق والمجمعات التجارية وغيرها . ولا يكفي أن تُكتب الألفاظ والعبارات الأجنبية نفسها بحروف عربية ، كما جرت العادة لدى بعض الجهات . ذلك لأن كتابتها على هذا النحو لا يكفي بالتعريف بمسمياتها ولا بتوضيح هذه المسميات ، بل إنه يساعد في الواقع على ترسيخها في الأذهان ويمكِّن من نطقها الصحيح بحروفها الأصلية فقط .

٧ـ **تعزيز موقع العربية في المدارس الأهلية** : ونعني بذلك أن لا تكون المدارس الأهلية خاضعة لإدارة الدولة وإشرافها وحسب ، وإنما أن تكون المناهج والمقررات الدراسية فيها مدونة ومطبقة بلغة المجتمع الذي هي فيه وموافقة للمناهج المعتمدة في مدارسه أو منسجمة معها . وإذا كان هناك تركيز فيها على نمط معين من التدريس أو مهارات علمية أو فنية أو لغوية خاصة لأي اعتبار ما ، فهذا يجب أن لا يكون على حساب التفريط بلغته أو بأي من قيمه ومبادئه ومقومات التربية والتعليم المتعلقة بهويته القومية والفكرية أو الحضارية . وقد يُستثني من ذلك المدارس الخاصة العائدة للسفارات والهيئات الدبلوماسية الأجنبية والمدارس المخصصة أساسًا للجاليات الأجنبية في الدولة .

٨ـ **إنشاء محطات تليفزيونية عربية خاصة بالأطفال** : ويُقصد بذلك أن يعمد المسئولون والموسرون في كل بلد من بلدان المنطقة إلى إنشاء محطات تليفزيونية خاصة بالأطفال ، تغنيهم عن اللجوء إلى محطات التلفاز الأجنبية ، أو على الأقل تحدُّ من لجوئهم إليها واللهفة وراء ما تقدمه من برامج ومسلسلات ، فتقدم لهم بمختلف أعمارهم ومستوياتهم العقلية والتعليمية البدائل الأصيلة الصالحة ، الموازية في فنيتها وحيويتها وقابلية الإثارة والجذب فيها لما تقدمه لهم المحطات الأخرى ، فتجمع فيما تقدمه إليهم من برامج ومواد بين ما يمتع النفوس وينمي المواهب ويطور المهارات ويصقل الأذواق ويهذب القرائح ويخصب الفكر والخيال ويسمو بالوجدان ويمكِّن من الإحساس بجوانب المحبة والجمال في الحياة ، ويرتقي في الوقت نفسه باللغة الأم العربية ويرسخ روح الولاء لها ولتراثها ولثقافتها ومجتمعها ويقوي الثقة بها والوعي بأهميتها ، على اعتبار أنها وسيلة الأخذ والعطاء وأداة التواصل والطريق إلى الإبداع والسبيل إلى التحضر وبناء العيش الهانئ المشترك في الحاضر والمستقبل .

٩ـ إنتاج ألعاب فيديو عربية : أشرنا في التفصيل إلى أن انفتاح المنطقة الواسع على البلدان الغربية أدى إلى الانتشار السريع لمنتجات هذه البلدان، وكان من ذلك انتشار برامج الكمبيوتر المسلية وألعاب الفيديو المنتجة باللغة الأجنبية . ولهذا الانتشار الذي لا يزال في أوجه آثار سلبية كثيرة وخطيرة على لغة الناشئة وعلى سلوكياتهم وأوضاعهم النفسية والتعليمية أيضًا، لذلك كان لا بد من اتخاذ التدابير المناسبة لحماية ناشئة المجتمع من هذه الآثار قبل استفحالها، ومن بين ما ذكر من التدابير إنشاء مراكز لإنتاج ألعاب فيديو وبرامج كمبيوتر عربية للأطفال بمختلف أعمارهم على غرار ما يُصنع في البلدان الأجنبية المتقدمة، تتناسب مع واقع الطفل في مجتمعه العربي وفيها من عوامل الإثارة والتسلية والفائدة والحيوية ما يشد الأطفال إليها ويغنيهم عن اللجوء إلى المستوردة، وقد نوهنا بما تقوم به بعض الشركات المصرية والأردنية في هذا الشأن .

١٠ـ تعريب التعليم : على الرغم مما كتب حول ضرورة تعريب التعليم وما طرح من آراء بشأنه، فإن التجربة العملية تؤكد على أن منطقة الخليج العربي بنحو خاص وبسبب العوامل التي سبق ذكرها وبتأثير من السياسات القائمة في أساسها على العلاقات الوثيقة لدول المنطقة مع دول الغرب ما زالت ترزح تحت تأثير اللغة الأجنبية، وتصر مجموعات فاعلة في بلدان هذه المنطقة انطلاقًا من هذا التأثير وما يترتب عليه من تصورات ومواقف انطباعية، تصر على اعتبار الإنجليزية الوسيلة الفضلى لتدريس العلوم، ولاسيما علوم الطب والعلوم التطبيقية والبحتة. ومع هذا التأكيد وهذه التصورات الذهنية والمواقف الملحة التي تتبناها المجموعات المذكورة وأفرادها من المسئولين والأساتذة الذين تلقوا علومهم أو تدريباتهم في الغرب وباللغة الأجنبية نفسها يصعب التغيير، إلا أنه لا يستحيل بأية حال من الأحوال. فهناك وسائل يمكن أن تشارك بفاعلية كبيرة في تغيير هذا الواقع، إذا ما توافرت الإرادة الصادقة من الجهات المسئولة في المنطقة، وتوافر القرار السياسي الحكيم المدروس، ووجد التخطيط السليم السديد والقناعة الكافية بضرورة التحول إلى الأصل .

١١ـ تأسيس مراكز رئيسة للترجمة : سواء كان ذلك على المستوى الإقليمي الشامل لكل دول المنطقة أو على المستوى المحلي في كل دولة على حدة، أو هما معًا. ويُفترض أن تضم هذه المراكز هيئات كاملة من خبراء الترجمة المتخصصين والباحثين المتتبعين والمراجعين المؤهلين، يوزعون على شكل لجان أو فرق، بحسب التخصصات العلمية والمهام التي يقومون بها واللغات التي يترجمون منها أو إليها. ويقوم الباحثون في كل لجنة أو فريق بالرصد المتتبع لكل ما يصدر باللغات الأجنبية العالمية من البحوث والأعمال الفكرية التي تحتاج إليها المؤسسات التعليمية والثقافية والإعلامية في الدولة أو في دول المنطقة والمجتمع العربي فيها بنحو عام، ثم يعمل على غربلتها وفرزها وتصنيفها وتقديمها للمترجمين كل بحسب اختصاصه، لتتحول بعد

تعريبها أو ترجمتها من قبَلهم إلى المراجعين المتخصصين في مجالاتها أيضًا، ومن ثَم إلى المراجعين اللغويين المتمكنين الذين يقومون بدورهم بفحصها لغويًّا فحصًا دقيقًا كاملاً وتصحيحها أسلوبيًّا، لتخرج في نهاية المطاف في أساليب سلسة مشرقة جاذبة معبرة عن جمال العربية وحيويتها، باعثة على الثقة والاعتزاز بها.

ويمكن أن تتفرع من اللجان والمراكز المذكورة وهيئاتها فرق خاصة لترجمة أو تعريب المجلات البارزة والدوريات العلمية الرصينة، وفرق خاصة أيضًا لتعريب مختارات من قصص وكتب الأطفال وموسوعاتهم الثقافية بمختلف مستوياتها، وأخرى خاصة بتعريب البرامج والألعاب الآلية والمسلسلات التليفزيونية الأجنبية التي تتناسب مع توجهات هؤلاء الأطفال وتشد اهتماماتهم وتلبي ميولهم الفنية والفطرية البريئة أو تمس حاجاتهم المعرفية والمهارية أو تتصل بالمناهج التعليمية والتثقيفية والوسائل الترفيهية الخاصة بهم، ولا تحدث أي أثر سلبي فيهم أو في لغتهم.

١٢ـ بث الوعي اللغوي والقومي: ونعني به العمل على توعية الجمهور العام وناشئته بصورة خاصة بالمفهوم الصحيح للغة ومفهوم الانتماء إليها وإلى مجتمعها. ثم بأهمية اللغة القومية ودورها الأساسي في الحياة ووثاقة ارتباطها بشخصية الفرد وبهويته، وبعنوان المجتمع وحضارته، وتعريف هذا الجمهور بما يمكن أن يقوي ارتباطه باللغة وبثقافتها ويعزز من ثقته بها وبإمكاناتها في استيعاب التطورات الحضارية الجديدة، ليس بمجرد القول أو الكلام النظري ولا توجيه النصائح والمحاضرات والخطب الحماسية أو تسميع القصائد الرنانة التي يمجد فيها تاريخ اللغة ويفتخر بتراثها وبما كانت عليه في عصور ازدهارها أو ازدهار حضارة أهلها.

هذه الأساليب وحدها لا تحقق الأهداف المنشودة، وهي وإن ذكَّرت بإشراقات الماضي المجيد وخلقت نوعًا من الانتشاء وبعض الاطمئنان في النفوس، إلا أن تكرارها سرعان ما يصبح ضربًا من الهدهدة الوقتية المخدرة، وربما أوجد ردود فعل عكسية وتحول إلى نفور مما يُدْعى إليه. كما أن التوعية اللغوية لا تتحقق بالبكاء على اللغة ونعيها أو نعي أهلها، أو التحسر على ماضيها وماضيهم والتأسف على حالها وحالهم في الحاضر كما فعل الشاعر حافظ إبراهيم رحمه الله. إن هذا في نظري المتواضع لا يشحذ الهمم نحو اللغة ولا يقوي العزائم في الحفاظ عليها أو الدفاع عنها وعن ثقافتها كما يمكن أن يتصور، وإنما يبث الإحباط واليأس ويدعو إلى مزيد من الاستسلام أو الانسحاب ويؤدي إلى مزيد من الضعف.

إن الذي يؤدي إلى الوعي اللغوي الصحيح هو العمل الفعلي الناطق باللغة نفسها على أرض الواقع، والمباشرة العملية المستمرة باحترام هذه اللغة وتقديرها، وممارستها الفعلية المستمرة في الأسرة وفي المدرسة والجامعة والشارع والسوق وفي صالات العرض وقاعات المسارح وشاشات

التلفاز، وفي دوائر الدولة ومؤسساتها وشركاتها ومرافقها الخاصة والعامة على اختلافها، ثم على ألسنة المسئولين ورجال الدولة أنفسهم على اختلاف مقاماتهم وأقدارهم . لا تنافسها لغة أجنبية على مكانتها ولا تهددها في مجال من مجالاتها، وإن عاشت معها وسارت في بعض الأوساط إلى جانبها .

يتحقق الوعي اللغوي عند المواطن، سواء كان طفلاً ناشئًا أو شابًّا يافعًا عندما يرى لغته القومية تُمارس على أرض الواقع، شامخة فصيحة صافية على ألسنة من يعتبرون قدوة المجتمع، وعندما يرى إتقان هذه اللغة والبراعة في استعمالها ـ وليس الأجنبية ـ أصبحت شرطًا أساسيًّا للتوظيف في كافة مرافق الدولة ودوائر حكومتها، وكذلك عندما يرى اتساع الفرص ومجالات العمل التي تظهر فيها ضرورة التمكن من هذه اللغة وأولوية احترامها . وعندما يرى الجوائز الكبيرة ترصد والمنح السخية تخصص لذوي البراعات الخاصة في استعمالها والتأليف بها في مختلف مجالات العلم وميادين المعرفة، ليس من الكبار فقط وإنما من الناشئة والأطفال أيضًا .

ينشط الفرد لاحترام لغته عندما يرى تراثها الثري يُقدم أمامه في حُلَل عصرية جميلة متجددة وتفتح له كنوز هذا التراث؛ لتتجسد أمامه حقيقة ما يقال عنه وليغترف من هذا التراث ما يشده إلى جذوره ويقوي أُرومته ويرسخ أصالته . وينشط لاحترامها والتوجه إليها بصدق وحماس عندما يرى المكتبات ومحلات بيع الكتب حافلة بالكتب النافعة والمجلات الرصينة المدونة بها هي بالدرجة الأولى، وليس باللغة الأجنبية الوافدة، وعندما يشهد في التلفاز ويسمع في المذياع دومًا عن الإبداع الفكري والوجداني الجديد المثمر فيها ويراه في الواقع حيًّا أمامه .

إن ما سبق ذكره كله لا يلغي بطبيعة الحال دور اللغة الأجنبية ولا يتنكر لأهميتها أو ضرورة العناية بتعلمها وإتقانها؛ لتكون نافذة يطل الفرد والمجتمع من خلالها على حضارات الآخرين ويستقي من علومهم وأفكارهم النافعة ويتزود بما ليس لديه من ثمار عقولهم وتجاربهم؛ ليساير الركب الحضاري في حاضره ومستقبله . أو يبادر لتعلمها وإتقانها ليعبر بها في اعتزاز عن هويته ويعرِّف الآخرين بتراثه ونتاجات فكره في ماضيه وحاضره، ويطلعهم على ما يبرز حضارته ومدنيته . .

ولا يسعني في نهاية المطاف إلا أن أكرر شكري واعترافي بفضل مجلسنا الموقر في إنجاز هذا الجهد المتواضع الذي قدمته بين يدي القارئ الكريم في هذا الملخص، وفيما سأقدمه في الدراسة المفصلة مستقبلاً إن شاء الله تعالى، آملاً أن أكون قد وفقت للمشاركة به في تحقيق ما نصبو إليه من أهداف .